مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112
http://elwahat.univ-ghardaia.dz



الرؤيا والنص :قراءة في الأبعاد النصية للرؤى وموقعها من نظرية النص و الأجناس الأدبية التراثية

بشير مولاي لخضر
قسم اللغة والأدب العربي كلية الآداب واللغات
جامعة غرداية- الجزائر

ملخص البحث:

تطمح هذه الدراسة إلى محاولة البحث في الحدود النوعية والنصية للرؤيا داخل الفضاء اللغوي والأدبي، وإمكانات تجليها نصا،وصور تمظهرها وفق هذا المنظور،فضلا عن المقومات التي ترشحها لهذا الانتماء،مع الإلحاح على التلاحم الشديد في هذا التوجه بين :الرؤيا والتأويل،وبصورة لا تتحقق بها الرؤيا نصا سوى من خلال عنوان واحد هو:نص تأويل الرؤيا.

وينشد البحث في الوقت نفسه الاقتراب من "تقنية" التجلي الرؤيوي (الحلمي) من خلال تماهيه في جنس أدبي،وكيف يترشح كل من المثل الموجز،والمثل القياسي والحكاية ذات المغزى لأن تكون النماذج النصية اللغوية التي يتماهى فيها الحلم أو الرؤيا بنية وشكلا،ووسائل في الشخوص أيضا، من خلال الطابع الرمزي والمجازي المشترك بين تلك الأنواع.

الكلمات المفتاحية: الرؤيا، النص،نظرية النص،التراث.

The vision and the text Read in textdimensional vision and location of theorytext and literaryheritage Races

Abstract

This study is the generic approach and textual limits of dreams and possibilities of their manifestations in language and literary space , of a way that can justify the question: can - we take dreams as texts? and what measures according to this hypothesis ?

This study - in addition- tries to discuss the nature of relationship between dreams and interpretation , and how the presence of the latter appears necessary .

In the second phase we tried to approach the "technical" and scenic resources whose dream used to be manifested in a manner similar to that present in any symbolic literary text .westopped in this course before : proverbs, fables by stressing the symbolic aspect and metaphorical common between these genres.

Keywords :dream,text,text theory, Heritage

مدخل:

لعل النص أن يكون واحدا من هذه المفاهيمالتي يتهيأ لها أن تتجلى في أكثر من شكل محتفظا بدلالته الكلية،وبصورة تكون فيها إحالته على معنى جديد من قبيل الإحالة على معان سياقية :فالعالمَ كله يمكن أن يكون نصا دالا،وكذا المنظر الطبيعي ،والحلم /الرؤيا،بصرف النظر عن مضمون ما تحيل عليه لدى كل متلق،وما يبقى جديرا عندئذ،إنما هو البحث في أدوات وآليات التجلي لتلك الأشكال، وحدود علاقتها بآليات النص اللغوي ووسائله في ترجمة المعنى.

ومع ذلك فليس التمظهر بأشكال مختلفة،هو وحده ما سيعين على التصنيف،ذلك أن التمييز بين ما هو نص وما هو غير ذلك،يتجاوز الخصائص الذاتية للنمط المدروس،ليشمل المتلقي،بحيث يغدو هذا الأخير طرفا حاسما في منح تلك النصية أو نفيها بالمقابل،وإذا خصصنا بالحديث الحلم أو الرؤيا باعتبارها نصا في هذا المقام،فقد يتهيأ أن نستشهد برؤيا الملك في سورة يوسف، فبينما قدر "الملأ" أنها "أضغاث أحلام" تخلو من كل دلالة وهي عندئذ:لانص،نجح يوسف عليه السلام في منحها دلالة من خلال التأويل بصورة

استعادت معها نصيتها التي جرّدت منها. فهل كل رؤيا نص؟ وهل يمكن للرؤيا أن تتعالق في كثير أو قليل مع بعض النصوص اللغوية؟

1 - النص

– النص في اللغة والتراث:

تحيل مادة نصص في المعاجم العربية على معاني الظهور والشخوص والانكشاف والارتفاع والاستقصاء جاء في لسان العرب :"النَّصُّ: رفْعُك الشيء. نَصَّ الحديث يَنُصُّه نصّاً:رفَعَه. وكلماُ ظْهِرَ،فقد نُصَّ.
وقال عمرو بن دينار: ما رأَيت رجلاً أَنَصَّ للحديث من الزُّهْري أَي أَرْفَعَ له وأَسْنَدَ. يقال: نَصَّ الحديث إِلى فلان أَي رفَعَه، وكذلك نصَصْتُهإِليه.ونَصَّت الظبيةُ جِيدَها: رفَعَتْه.ووُضِعَ على المِنَصَّةِ أَي على غاية الفَضِيحة والشهرة والظهور. والمَنَصَّةُ: ما تُظْهَرُ عليه العروسُ لتُرَى،وقد نَصَّها وانتَصَّت هي، والماشِطةُ تَنُصّ العروسَ فتُقْعِدُها على المِنَصَّة، وهي تَنْتَصُّ عليها لتُرَى من بين النساء." [1]

وإذا كانت مادة" نص" في المعاجم لا تحيل على مضمون نقدي أو أدبي محض، فلعل ما يقربها من الدائرة اللسانية والعملية التواصلية على الأقل، يمكن أن يتجلى في "نصصتَ الرجلَ:استقصيتَ مسألته عن الشيء حتى تستخرجَ ما عنده"، بما يفرض بداهة تخاطبا وسياقا ،ويجعل من**الانتصاص** بهذه الصورة خطابا [2]:

[1] لسان العرب المحيط،،ابن منظور، تحقيق: ياسر سليمان أبو شادي ومجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية القاهرة، دت. مصدر سابق، ج ،14 ، ص: 177 .مادة: (نصص).

[2] – "يفترض الخطاب وجود السامع الذي يتلقى الخطاب، بينما يتوجه النص الى متلق غائب يتلقاه عن طريق عينيه قراءة أي أن الخطاب نشاط تواصلي يتأسس – أولا وقبل كل شيء – على اللغة المنطوقة بينما النص مدونةمكتوبة". ينظر: النص الأدبي وتعدد القراءات، بشير إبرير مجلة نزوى، مجلة أدبية ثقافية فصلية،على الموقع:
nazwa.com،بتاريخ:26 /06 /2009.

انتصاص = متكلم ⇆ مخاطب = استقصاء الرجل المسألة واستفراغ ما عنده.

وربما كان "الذي يقربها من المنطقة النقدية هو دلالاتها على (التوثيق)، وذلك في (النص) الحديث إلى صاحبه عن طريق متابعة صاحب الحديث لاستخراج كل عناصره، حتى بلوغ منتهاها" [1]. وربما تهيأ مع ذلك أن نقدر أن التوثيق المتحقق في "نص الحديث إلى صاحبه" لا يقود إلى "استخراج كل عناصره، حتى بلوغ منتهاها" كما ذهب إليه الباحث جمال مباركي في الفقرة السابقة، فهذا الاستقصاء حتى النهاية يصدق على" نصصتَ الرجلَ" وليس على "نص الحديث إلى" لأن نص الحديث لا يفترض عملية تواصلية محضة، ولكنه ينصب على الحديث لرفعه كما ورد في اللسان و رفعه يرادف: تتبعه وإسناده إلى صاحبه.بدليل قولهم "نَصَّ الحديث إلى فلان: رفَعَه إليه" كما في مقاييس اللغة،وقولعمرو بن دينار: ما رأَيت رجلاً أَنَصَّ للحديث من الزُّهْري أَي أَرْفَعَ له وأَسْنَدَ. يقال: نَصَّ الحديث إِلى فلان أَي رفَعَه، وكذلك نصَصْتُه إِليه" كما ورد في اللسان.. [2].

وإذا كانت كلمة نص في العربية ارتبطت غالبا بالدلالة على "الرفع والإظهار بالمعنى الحسي، والرفع والاسناد(نسبة الحديث إلى صاحبه) بالمعنى المجرد، واستخراج أقصى ما في الإنسان أو في الحيوان أو في الشيء من قوة كامنة للإفادة منها..." [3]؛ فإن الدكتور عبد المالك مرتاض يثير تساؤلا من نوع خاص، مؤداه : أين " ...موقع النص الأدبي بالمفهوم الجاري عليه الاستعمال المعاصر بالقياس

---

[1] التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، جمال مباركي إصدارات رابطة إبداع الثقافية،الجزائر، دت،

ص: 49 .

[2] ينظر توكيدا لهذا الرأي: نظرية النص الأدبي، عبد المالك مرتاض،دار هومة، الجزائر، 2007 ،ص:7

[3] المرجع نفسه ،ص: 45 .

إلى ما ذكرته المعاجم العربية؟ وهل النص هو استخراج ما في الكتابة من دلالة وقوة وجمال وقيمة ولذة بتعبير(بارط)؟ وطلاوة (بتعبير الوليد بن المغيرة...)؟ لا إخال أحدا ممن أورد لفظ النص، من المعجميين العرب، كان رمى إلى بعض هذا، أو فكر فيه على هذا النحو بالذات؟" [1] ويستدِل على هذا الاستبعاد من منطلق أن "آخر معجم موثوق ألف في العربية ذكر النص بمعنى" صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف" [2]

و يبدو أن دلالة النص عند الأصوليين. بدءا من الشافعي - وإن هي لم تخرج عن معنى الظهور والانجلاء - تجاوزت حدود المعنى الجزئي لتكتسب صفة المفهوم الذي تتعضد دلالته في الحقل نفسه بمقارنته بمفاهيم أخرى مغايرة أو مقابلة.

فحين يقول الشافعي رحمه الله في معرض تعريفه للبيان:" والبيان اسم جامع لمعاني مجتمعة الأصول، متشعبة الفروع... فجماع ما أبان الله لخلقه في كتابه مما تعبدهم به لما مضى من حكمه جل ثناؤه من وجوه. فمنها: ما أبانه لخلقه نصا. مثل جمل فرائضه، في أن عليهم صلاة، وزكاة وحجا وصياما... وبين لهم كيف فرض الوضوء، مع غير ذلك مما فرض نصا" [3]. فلعل كلمة "نص" تغدو محيلة على معنى القطع والتصريح الذي يتنافى مع الظن والاحتمال من جهة، ومع التلميح أو الكناية والتعريض من جهة أخرى.

ويذهب كثير من الأصوليين إلى أن الشافعي في تحديده للنص لا يفرق بينه وبين الظاهر فالنص عند بعضهم هو:" خطاب يمكن أن يعرف به المراد،" و له شروط ثلاثة:

الأول. أن يكون لفظا (كلاما) ...

---

[1] المرجع نفسه، ص: 45 .

[2] المرجع نفسه،ص ن. آخر معجم هنا هو "المعجم الوسيط".

[3] الرسالة،الشافعي، تح:محمودشاكر،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،د ت، ،ص:21.

الثاني. أن لا يتناول إلا ما هو نص فيه، فإن كان نصا في عين واحدة وجب أن لا يتناول سواها، وإن كان نصا في أشياء كثيرة وجب أن لا يتناول ما سواها.

الثالث. أن تكون إفادته لما يفيد ، ظاهرة غير مجملة"

أما أبو إسحق الشيرازي فيعرف النص في كتابه اللمع بقوله:" النص لفظ دل على الحكم على وجه لا احتمال فيه" [1]. وواضح أن الشيرازي لا يقصد باللفظ الكلمة المفردة، وإنما يقصد الخطاب الذي يصلح لاستخراج حكم. وإذا لم نقيد أنفسنا سوى بالشرط الأول وهو قولهم "أن يكون كلاما"،أو "لفظا" لأن الشرطين الأخيرين يتصلان في نظرنا بسياق خاص هو علم الأصول ومباحثه في أنواع الدلالة؛ فقد يتأسس على ما سبق أن **النص خطاب لفظي (لغوي) يمكن أن يعرف به المراد،** وحين يشترط الكلام فهناك انصراف إلى اللغة بألفاظها، في مقابلة دلالة الإشارة أو حتى دلالة السكوت.

ومع أن الأصوليين يصنفون النص كنوع من أنواع **"الواضح"** الذي يشمل:الظاهر، والنص،والمحكم، والمفسر في مقابل **المبهم** الذي ينضوي تحته: الخفي، المجمل،المشكل، المتشابه؛ فإن ما يعنينا في هذا المقام هو أن النص بات معبرا عن مفهوم يتصل بنوع من **الخطاب** لا عن مجرد معنى للفظ. والجانب الآخر يتمثل في كون كل نص:آية أو حديث أو سوى ذلك بوصفها سياقات محددة ودالة باتت في حكم **الأثر المادي** على الشيء: فعبارة الأصوليين الشهيرة:" **لا اجتهاد مع نص قطعي الدلالة"** ستفيد انتفاء الاجتهاد مع النص القطعي بدلالته الأصولية، وتحيل أيضا على النص بوصفه الأثر المادي **"الشاهد "** المثبت للقطع مقروءا أو مسموعا. وهو ما بات قارا في الاستعمال بحيث تعتمد الآيات والأحاديث وغيرها باعتبارها نصوصا.

[1] تفسير النصوص، ،محمد أديب صالح، در الكتاب الإسلامي، بيروت، ،1430 هـ. 1993 ، ط2 ج1. ، ص: 204 .

بل ربما جاز الاتساع في هذا المضمار بالتعامل أولا مع كل "الشواهد للواضح والمبهم على أنها نصوص، ويلحق بذلك كل شاهد نحوي أو بلاغي أو عروضي... يتجاوز حدود الكلمة إلى البيت أو المثل أو الحكمة... لنتجاوز بهذه الصورة . النظر إلى **الشاهد** تلك النظرة الضيقة والجزئية ونمنحه مدلول النص،لأجل ذلك فنحن نحسب أنه كان من الأولى في سياق تتبع دلالة النص في الثقافة العربية القديمة، أن لا يقتصر في استجلاء تلك الدلالات على المعاجم وحدها، وإنما كان ينبغي أن تستلمح تلك الدلالة في نطاق حقل كامل هو **الحقل البياني** الذي يعد علم الأصول أحد أهم ركائزه.

2 - النص في الدرس النقدي المعاصر:

لسنا نريد أن نقارب نظرية النص هنا في دائرة الحقل اللساني والنقدي المعاصر بالقدر الذي نستعرض معه مختلف تعريفات النص، على ما بينها من فروق واختلافات، وذلك لعاملين اثنين :

- **الأول:**

أن وقفتنا مع النص هنا هي وقفة **وظيفية**، ننشد من خلالها قبل كل شيء البحث في وجوه التعالق بين **النص والرؤيا**، ولذلك فحشد طائفة من التعريفات التي لا تمت إلى هذا الهدف بصلة، تبدو في نظرنا جهدا أجوف يخلو من الدلالة التي نتوخاها والهدف الذي نطمح إليه. ومعنى ذلك أن تتبع تلك التعريفات التي تنطبق على النص اللغوي والأدبي دون أن يتجلى لها مظهر تعالق مع الرؤيا يبدو مجرد تكرار لا يتسق مع الغاية المسطرة.

أما العامل **الثاني**: فمنظور فيه من حيث تعذر الإمساك بهوية قارة للنص، إنّ هذا التمنع والتأبي على الحصر والتحديد المدرسي هو ما أكد عليه في أكثر من موقف الدكتور عبد المالك مرتاض في "نظرية النص الأدبي" فمن ذلك قوله:"عبثا يحاول الذين يعلمنون النص أن يتخذوا لكتابته، أو لقراءته،علما صارما كل الصرامة به يحكم، ومعيارا دقيقا كل الدقة إليه يحتكم... لا علمَ

للنص فيما يبدو ... وإنما النص فن، من قبيل الفنون العبقريات الحسان؛ فبأي أداة يمكن علمنة ما لا يجدي فيه البرهان؟علمنة النص خصيٌ له، وتشويهٌ لخلقته، وتبشيع لصورته، وتقبيح لبهائه؛ بل تدمير لكيانه... محاولة العلمنة زعم شكلاني جاء من أقصى بلاد الروس ولم يفض إلا إلى نقيض القصد..." [1].

إذا كان مفهوم النص الأدبي مفهوما إشكاليا، زئبقيا كما ينعته الدكتور عبد المالك مرتاض [2]. فبأي منظور ومن أي زاوية يمكن مقاربة النص ؟.

هل النص: .." هو: ما تنقرئ فيه الكتابة، وتنكتب فيه القراءة " [3] ؟ أم هو وفق **جوليا كريستيفا**: "جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان Langue عن طريق ربطه بالكلام Parole راميا بذلك إلى الإخبار المباشر مع مختلف أنماط الملفوظات السابقة والمعاصرة." [4] ؟ ولعله حسب **بول ريكور "كل** خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة [بحيث] يكون التثبيت بالكتابة مؤسسا للنص نفسه، النص هو المكان الذي يأتي إليه المؤلف. إن إبعاد المؤلف من طرف نصه الخاص هو ظاهرة القراءة الأولى التي تطرح دفعة واحدة، مجموع القضايا المتعلقة بعلاقات الشرح التأويل، وهذه العلاقات تولد بمناسبة القراءة" [5]

---

[1] نظرية النص الأدبي، مرجع سابق ،ص:7 .

[2] المرجع السابق ص: 3 .

[3] النص الأدبي وتعدد القراءات، بشير إبرير، مجلة نزوى، مجلة أدبية ثقافية فصلية،على الموقع:

nazwa.com،بتاريخ:26 /06 /2009 .

[4] المرجع نفسه.

[5] اللغة والتأويل مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، عمارة ناصر، الدار العربية للعلوم ناشرون . دار الفارابي . منشورات الاختلاف، الجزائر، 1428 هـ . 2007 م ، ط1 ، ص: 24 ، 25 .

إن كلاً من التعريف الأول والثالث يركزان على الكتابة كمعلم من معالم النص،بصرف النظر عن طبيعة الكتابة في دلالتها على المظهر الفيزيائي للنص أم في دلالتها على الممارسة الإبداعية التي تعتبر في ذاتها حدثا، فالكتابة ما لم تحقق شرطي الاتساق و الانسجام – بصورة مباشرة أو غير مباشرة – لا تثمر نصا، والكتابة ما لم تتأسس على فنيات جنس أدبي معين لا تستحيل نصا أدبيا، ولا يبدو أن التعريف الثالث يولي كبير عناية للتفريق بين النص والخطاب فهو يعتبر النص خطابا ثبتته الكتابة .رغم أن روبير إسكاربيت يرى أن "اللغة الشفوية تنتج خطابات des discours **بينما الكتابة تنتج نصوصا** des textes" [1]**.أما جوليا كريستيفا فهي إضافة إلى ربطها للنص بنطاقه اللساني من خلال ثنائية:اللغة والكلام، بحيث يتحقق التوزيع من خلال علاقة الهدم والبناء كما يرى سعيد يقطين، إضافة إلى ذلك يتجلى النص بوصفه إنتاجا فرديا مرادفا للكلام،(ونحن نوظف صفة الفردية هنا مجازا فيما يتعلق بكريستيفا) إضافة إلى ذلك، فتعريفها للنص يركز على "الإنتاجية النصية" بوصف كل نص تناصا يستحضر ملفوظات من خارجه سابقة أو معاصرة.**

وبعد هذا كله: هل النص مشروط بأن يكون لغويا؟ أم إن النص الأدبي وحده هو ما يجب أن يخضع لهذا التحديد ؟ وهل النص الأدبي بهذه اللغوية يفقد كل صلة مع غيره من النصوص،فلا ينجلي فيها ولا تنجلي فيه؟ أليس هناك مظهر للتراسل بين الأدبي والفني

3 - الرؤيا والنص:

ولعل مدخلنا في مقاربة النص في علاقته بالرؤيا، أو الرؤيا في علاقتها بالنص على وجه أدق وأخص،أن يشخص من خلال تلك المقاربة التي توسع من

---

[1] النص الأدبي وتعدد القراءات، مرجع سابق.

نطاق النص فترى أن النص" يمكن أن يكون لوحة زيتية، وقطعة موسيقية،ولقطة سينمائية كما ذهب إلى ذلك يوري لوطمان ومن بعده رولان بارط [1] .

ونحن نزعم أن هذا الوجه من الطرح لا يخلو من وجاهة، فالإطار العام الذي يجمع تلك "النصوص" هو الفن، والنص الأدبي نص فني، مميز بأداته التي هي اللغة،هي وسيلته في التعبير والإيحاء، وهذا ما يفرقه عن باقي الفنون الأخرى. وقديما قال أرسطو بوحدة الفنون في صدورها عن أصل واحد هو "المحاكاة "واختلافها فيما بينها باختلاف أدواتها، وتنبه النقاد والبلاغيون والشعراء إلى ما بين الأدب والرسم والموسيقى من وشائج ،ولكن ما يجمع هذه الفنون مع النص الأدبي رغم هذا الاختلاف هو " القصد" و"القابلية للتأويل"، ونحسب أن"الرؤيا" نصًا تعلَق بتلك الفنون، وبالنص الأدبي من جهة أخرى باعتبار هذين الجانبين على الأقل.

وهذا التراسل بين الفنون بتعبير فؤاد أحمد إبراهيم [2] نجد له نظيرا في تراسل النقد مع بيئات أخرى من خارج الأدب يوظف مفاهيمها وآلياتها للولوج إلى العمل الأدبي وتحليله وتأويله ،وهذا الوجه الأخير(التأويل) هو الوجه الآخر من تراسل الرؤيا مع النص الأدبي. . وفي كل الأحوال فالرؤيا فيما يبدو تحقق في تجليها تلقيا وتأويلا تمظهر أي نص أو خطاب:

الكاتب← النص ← القارئ

[1] في نظرية النص الأدبي، ص: 47 .

[2] مقال منشور: بصحيفة الجزيرة 1 ربيع الأول 1422 ع 10465 على الموقع Aljazzera.com: وينظر على سبيل المثال: جمالية الصورة في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر، كلود عبيد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت، لبنان،1432 هـ - 2011 م، ط1 ،ص: 5 وما بعدها. و: قصيدة وصورة:الشعر والتصوير عبر العصور،عبد الغفار مكاوي،عالم المعرفة، الكويت،1987 ،ص: 9 وما بعدها ...وغيرهما.

وما يتميز به نص الرؤيا، أو "نص تعبير الرؤيا" يتمثل ابتداء "في تماهي المروي له بالمتلقي الذي يمارس التأويل ويأخذ تعبير الرؤيا كنص الصورة التالية:

الرائي ← الراوي ← الرؤيا ← المروي له ← المؤول ←التأويل [1].

وفي ظل العلاقة الوطيدة بين التلقي والتأويل، وتميز خصوصية الحلم باضطلاع المتلقي بدور المؤول من خلال تقديم تأويل ملحوظ وملموس يدخل بدوره ضمن بنية نص الحلم، فإن هذا التميز سيشخص حين يُجَسد البعد التواصلي لنص الحلم الذي يمكن أن يأخذ صورة:

الرائي←الراوي ← الرؤيا ← المتلقي

↓↑

المؤول له → التأويل → المؤول

(بنية نص الحلم) [2]

ولعل ما يجب أن ينبه إليه في هذا المقام، وفي ضوء البنية السابقة، أن المتلقي بوصفه مؤولا لا يتداخل في مفهومه ولا في وظيفته مع الراوي باعتباره المتلقي الأول للرؤيا، ذلك أن بنية نص الحلم هنا لا تغفل التعبير كمقوم في هذه النصية وهو ما عبر عنه سعيد يقطين بوضوح : "تعبير الرؤيا كنص"

وهذه النصية للرؤيا . بتميزها وخصوصيتها . هي ما عبر عنه في إطار نظرة شمولية هي "التلقي والتأويل" . وتحت عنوان بارز ورئيس هو تلقي الأحلام وتأويلها في الثقافة العربية بقوله:" عندما نتخذ من الحلم وتعبيره "موضوعا" للبحث، فلأننا ننطلق من أنه "نص" مثله في ذلك مثل أي نص ينتجه الإنسان. وأي نص كيفما كان جنسه أو نوعه أو نمطه حامل لمعنى، غير أن نص الحلم

---

[1] السرد العربي ،مفاهيم وتجليات سعيد يقطين،رؤية، للنشر والتوزيع،القاهرة، 2006 ،ص: 228

[2] المرجع السابق، ص: 229 .

من طبيعة مختلفة. إنه يتراءى في حال النوم، ويتخذ نسقا خاصا ومختلفا وعلى الأصعدة كافة. وهذا الاختلاف يجعله أقرب إلى النص العجائبي أو اللغزي الذي يولد الحيرة لدى الرائي أو المتلقي، ويجعله، تبعا لذلك ، نصا مستعصيا على الفهم والتأويل..." [1].

إن الفقرة السابقة تكتسي أهمية بالغة في نظرنا، لا لأنها تلحُّ على نصية الرؤيا فحسب، ولكن لأنها تومئ إلى مقومات هذه النصية، وخصوصيتها في الآن نفسه: فهي نص لا يختلف عن أي نص ينتجه الإنسان، تحمل معنى شأنها شأن أي نص آخر، وهو معنى قابل للفهم والتأويل،غير أنّ للرؤيا نسقا خاصا: طبيعة ومصدرا وزمانا في التجلي، واتخاذها لنسق خاص وعلى الأصعدة كافة يفهم منه ضمنيا – في نظرنا– أن الرؤيا نصا، وفي نسقها الخاص تعبر عن التميز في **تشكيل الدلالة** على نحو تبرز فيه باعثة على الحيرة بصورة تلحقها بالنصوص العجائبية أو الملغزة المستعصية على الفهم والتأويل.

وتأكيدا على هذه الفكرة فالرؤيا بوصفها مضمونا حلميا يقوم على الأحداث و المشاهد المؤلفة للرؤيا ككل، وفي مرحلتها الأولى أي وهي تعلق بالنفس، تحاكي النص الشعري في مرحلته "الجنينية" أي حينما كان معنى في الذهن لم يتشكل ولم يخرج إلى الوجود عن طريق اللغة. فـ "كما أن النص يبدأ من خلال العملية الذهنية، قبل أن يستحيل إلى لغة منطوقة، وهو في طور المعاني الذهنية، فالرؤيا بصورها الحلمية وأحداثها في المنام، تكون في طور المعاني الذهنية، وتبقى قيد الذهن، معلقة على جناح طائر، فإذا عبرت وقعت، وعبورها لا يتم إلا عن طريق قصها بلسان الرائي ، وهنا تبدأ لحظة التشكيل اللغوي، حيث تنقل الرؤيا من المعنى الذهني إلى اللفظ المنطوق وبذلك يكون اللفظ تابعا

[1] السرد العربي... مرجع سابق،ص:232 .

للمعنى ولاحقا به كما يقول الجرجاني..." [1] . وإذا روعي في نص "تعبير الرؤيا" كل أطرافه الشاخصة:تلقيا وتأويلا ، فنحن في الواقع أمام عالمين يشكلان كلا متكاملا :"

1 . أ) الرائي . الراوي.

2 . الرؤيا

3 . ب) المتلقي . المؤول.

4 . التأويل.

وبدون حضور أي من هذه العناصر- الأطراف - يستحيل الحديث عن نص الرؤيا، ويمكننا ... أن نعيد تمفصل هذه الأطراف الأربعة إلى عالمين اثنين. يتشكل العالم الأول من الطرفين الأولين. ويتكون العالم الثاني من الطرفين الثالث والرابع. وبتضافر هذين العالمين . البنيتين . نجد أنفسنا أمام ذاتين:(الرائي . المتلقي) وموضوعين(الرؤيا والتأويل) يتفاعلان بتحول الذاتين إلى راو ومؤول ، وتقوم الذات الثانية* بنقل الموضوع الأول من مستوى الكمون إلى التجلي عن طريق "السرد"، وتضطلع الذات الأخرى بنقل الموضوع المتلقى إلى الإنجاز بواسطة التعبير..." [2].إن التجلي السابق - في نظرنا - للراوي والمعبر :السرد ككفاءة والتعبير كإنجاز ، يضاهي: النص كإبداع، والنقد كقراءة وتمَثُّل لا يخلوان بدورهما من طابع إبداعي.

---

[1] تأويل الرؤيا في الصحيحين وعلاقته بقراءة النص الشعري، دراسة بلاغية، سعود بن حامد مرزوق الصاعدي، رسالة ما جيستير مخطوطة 1427 .1428 ،جامعة أم القرى ، ص: 125

*لعل المقصود هنا : الذات الأولى أي ذات الرائي لأنها هي التي تمارس السرد أما المتلقي فيمارس التأويل .

[2] السرد العربي.... مرجع سابق ،ص: 241 .

4 - الرؤيا نصا وتجليات الحضور:

هل كل رؤيا نص؟

إن هذا الموقف لا يقل أهمية عن سابقه، فالدارس (سعيد يقطين) مفرقا بين الرؤيا والحلم كما ينص عليه الحديث الشريف "الرؤيا من الله والحلم من الشيطان"[1] ومستدعيا منزلة الرؤيا باعتبارها ستة وأربعين جزءا من النبوة كما أرشد إلى ذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم،و الرؤيا الصالحة المنتظمة والمستقيمة "لأنها من الله يريها عباده أكانوا مسلمين أم كافرين" [2] .والمكروهة التي هي الحلم الذي يضاف إلى الشيطان كما سبق، ويدخل في ذلك ما يتراءى للمرء من حديث النفس وتخاويفها وأحزانها "مما لا حكمة فيه تدل على ما يؤول أمر رائيه " [3] وهو ما عبر عنه الحديث منها "...تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث به الرجل نفسه..." [4].

كل ذلك، تتأكد له أهميه بالغة في هذا التصنيف أي: فيما يتعلق بنصية الرؤيا وعدم نصيتها، فالرؤيا عند المؤمنين هي(الصادقة)، والحلم هو الباطل، وتبعا لذلك:

فإذا كان الملحد ومن شاكله لا يؤمنون "بالرؤيا ولا بالحلم، إذ هما معا بالنسبة إليه(ما) "لانص"، فإن المؤمن (العربي . المسلم)* على العكس يميز داخل المرئي بين النص(الرؤيا) واللانص (الحلم) على هذا النحو:

---

[1] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مصدر سابق،ج12 ،ص:404 .

[2] السرد العربي،مفاهيم وتجليات... مرجع سابق ص:232 .

[3] تفسير الأحلام، ابن سيرين، دار الدعوة الإسلامية، القاهرة، 2001، ص:2 .

[4] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مصدر سابق،ج12 ،ص:404

* لا نستطيع أن نجاري الدارس في هذا الإطلاق، فالمعتزلة مثلا في دائرة الثقافة العربية الإسلامية ينكرون أي دلالة للرؤى ويعتبرونها تخيلات باطلة.

النص نض اللانص

اللّه نض الشيطان

الرؤيا نض الحلم [1]

فالنص (الرؤيا الصادقة) وبحكم أن له معنى ودلالة نقيض اللانص الذي لا يعدو أن يكون أوهاما لا طائل من ورائها [2]، وقد يُعَبّر عن الصادقة بـ(الصالحة) أي: المستقيمة المنتظمة التي تحمل معنى قابلا للتأويل. وهذا التمييز لا يبعد كثيرا . ولاشك . بين النص واللانص في المجال اللساني والأدبي باعتبار خاصيتي: الاتساق والانسجام.وبهذه الصورة فإن:

1. النص نض(نقيض) اللانص:

من خلال "التمييز على أساس جنسي (Génirique) عام:فالنص من اللّه، واللانص من الشيطان؛ وجنسية المرئي تتحدد من خلال طبيعته، ذلك لأنها هي التي تحدده وتؤطره. وبالنظر إلى الطبيعة ، يمكن أن يأخذ الشكل السابق الصورة التالية

2. النص = اللانص

يرى الدكتور سعيد يقطين على مستوى هذه الوضعية أن النص يمكن أن يتجلى مرادفا لـ "اللانص" وفق تحديدين اثنين:

1 . في الحالة الأولى:لا يتجلى المؤول عاجزا عن التعبير والتفسير، "ولكنه يتردد في تبليغ الرائي معنى رؤياه لأسباب نتعرض إليها فيما يتعلق بآداب المؤول (مبدأ الكراهة).

[1] ينظر: السرد العربي.... ص: 234 .

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 234.

2 . الحالة الثانية: تبرز" من خلال عجز المؤول عن تبين معنى المرئي لعناصر مشوشة لم ينجح في فكها (مبدأ العجز) [1].

و بدهي - هنا - أن النص لم يتحول إلى لا نص إلا بشكل **صوري: فمبدأ الكراهة** لا ينفي **الدلالة** ولكنه يحجبها أو يضمرها ولا يصرح بها، التزاما بآداب التأويل **ومبدأ العجز** بدوره لا ينفي الدلالة ولكنه يعجز عن الوصول إليها.

هناك حالة للإمساك عن التأويل في الحالتين : **إرادية** في الحالة الأولى **وقسرية** في الحالة الثانية. ولأجل ذلك فقد يتحقق أن نقرر أن **النصي** على مستوى الرؤيا يتحول إلى **لانصي**في ضوء تصور عام لبنية الرؤيا يقوم على الالتحام بين **الدلالة والتأويل** بحيث يشكلان كلا متكاملا هو **"نص تعبير الرؤيا"** وهو ما يستحضر معه مجددا:**(لا تلقي بدون تأويل، ولا تأويل دون تلق)**؛ وحملا عليه: **(لارؤيا دون تعبير، ولا تعبير دون رؤيا)** أما إذا راهنا على نصية الرؤيا . خصوصا بمقابلتها للحلم. بوصفها حاملة لدلالة، دون مراعاة للتأويل كمؤثر تبعي في هذا التصنيف والنسبةِ إلى النصية، من منطلق أن التأويل **لا يُوجِد** الدلالة ولكنه **يكتشفها**، فقد يتبادر أنّ التحول في الوضعية السابقة من خلال مظهريها إنما يكون قد مس **التأويل** وليس النص، لتختزل الوضعية تبعا لذلك في الشكل التالي:

↰ إرادي (مبدأ الكراهة)

التأويل = **اللاتأويل**

↲ قسري (مبدأ العجز)

ومع هذا القدر، فإن هذا التوجيه وإن كان يقارب هذه الحيثية مستحضرا بصورة ضمنية: النص الأدبي مظهرا **للإبداع**، والتأويل مظهر **للنقد والتحليل**، بالصورة التي يمثّل فيها كل طرف من الطرفين كيانا خاصا ومستقلا رغم العلاقة التكاملية الوثيقة بينهما؛ إلا أن إسقاط هذه المقاربة على الرؤيا وتأويلها

---

[1] المرجع نفسه ، ص ن .

ليست بهذه السهولة كما تبدو لأول وهلة: قد ننجح غالبا في تحديد الجنس الأدبي لنص أدبي ما، بحيث تغدو عتباته و تشكيله الداخلي هما المعبر عن ذلك الانتماء، رغم إقرارنا بجدلية الهدم والبناء التي يمارسها الأديب داخل هذا الجنس؛ ولكن المسألة ليست بهذا التطابق بالنسبة للرؤيا: فمن باستطاعته أن يميز في نطاقها ابتداء إن كانت:رؤيا أم أهاويل شيطان ليحزن بها ابن آدم أم أحاديث نفس؟ ليتحدد في ضوء ذلك جنسها وطبيعتها: رؤيا من الله # حلم من الشيطان. وكيف يستطاع التمييز، بين كونها من الرؤيا التي تحيل على معناها وبين كونها مما يحتاج إلى تأويل؟ إن هذه الصعوبة هي عين ما عبر عنه فرويد . مع فارق المنطلق . بقوله:" ...فعلاوة على أنّ هناك رموزا فردية، وعلى أنّ هناك تقلبات لا تقع تحت حصر في استخدام الرموز العامة، يتعذر علينا أن نعرف مسبقا هل ينبغي أن يؤخذ مضمون الحلم الظاهري بالمعنى الرمزي أم بالمعنى الحقيقي.وما نعرفه بثقة ويقين هو أن المواد ليست جميعها رموزا..." [1]

ولذلك فطبيعة الحلم / الرؤيا ودلالتهما ملتحمتان التحاما عضويا قويا بالتأويل، وكأن التأويل مرادفا للنقد على مستوى النص الأدبي يتجلى **إبداعا**، لتظل الرؤيا/ النص في غيابه في حكم العدم.

3. النص نض اللانص

أما التجلي الثالث لنص الرؤيا فيعبر عنه تحقق المؤوِّل" دلالةَ "للّه" النص لله (الرؤيا). ولكنه بدل أن يحوله إلى لا نص كما في الحالة الثانية بسبب حضور مبدأ الكراهة أو العجز ،يؤكد "نصية" الرؤيا، ويتساءل عن طبيعة الرائي، أو يتبينها من خلال هيئته و شكله، فيحول معنى النص إلى شخص آخر له علاقة

[1] الحلم وتأويله،سيغموند فرويد ، تر:جورجطرابيشي،دار الطليعة بيروت،1976 ،ط1. ص:73 .

بالرائي، ما دامت ليست له أهلية أن تكون الرؤيا ودلالتها له .(مبدأ التحويل)..." [1] .

وهكذا تتحقق ثلاث صور لحضور نص الرؤيا: 1 . النص# اللانص. 2 . النص = اللانص. 3 . النص # اللانص.

فالمرئي نص قابل للتأويل ، وله معنى ،وتأويله يعتمد ثلاثة مبادئ: "الإنجاز: يتركز على المرئي، ويتمفصل إلى رؤيا وحلم . الإمساك: يتعلق بالمؤول، فهو إما عاجز(قصور المعرفة) أو مكره تسترا على الرائي . التحويل: ويتصل بالرائي، لأنه ليس المؤول له" [2].

5 - موقع الرؤيا نصا في الثقافة العربية الإسلامية:

حين يعرض "ابن سيرين" لما يمكن أن نصطلح عليه ولو تجوزا واتساعا "بنية" الرؤيا، فإنه يفصلها إلى :جنس وصنف وطبع،بالقدر الذي يغدو فيه هذا التصنيف تعبيرا عن نموذج مجرد لكل رؤيا: "فالجنس: كالشجر والسباع والطير، وهذا كله الأغلب عليه أنه رجال.

والصنف: أن يعلم صنف تلك الشجرة من الشجر،وذلك السبع من السباع،وذلك الطائر من الطيور، فإن كانت الشجرة نخلة كان ذلك الرجل من العرب لأن منابت أكثر النخل بلاد العرب،وإن كان الطائر طاوسا كان رجلا من العجم، وإن كان ظليما كان بدويا من العرب.

والطبع: أن تنظر ما طبع تلك الشجرة، فتقضي على الرجل بطبعها، فإن كانت الشجرة جوزا قضيت على الرجل بطبعها بالعسر في المعاملة والخصومة عند المناظرة، وإن كانت نخلة قضيت عليها بأنها رجل نفّاع بالخير مخصب سهل

[1] السرد العربي... مرجع سابق ص: 236 .

[2] المرجع نفسه، ص ن.

حيث يقول الله عز وجل:(كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) [1]..." [2].

إن هذا التحديد لبنية الرؤيا في إطاره التجريدي يقترب فيما يبدو من عبارة تودوروف حين يذهب إلى أنه يمكن:"اعتبار كل عمل أدبي كمظهر لبنية مجردة وشاملة والتي يشكل النص المحقق إحدى تجلياتها الممكنة" [3]**. وحين يقرر "ابن سيرين" أن الرؤيا عامة تقوم على جنس وصنف وطبع، فمعنى ذلك أن تلك العناصر متفاعلة في علاقة و معبرة عن دلالة، هو ما يحقق للرؤيا هويتها وجنسها وطبيعتها. وهو ما يحقق في الوقت نفسه معنى "البنية" بمدلولها البنيوي.**

وإذا كان ذلك التحديد- فيما يبدو - يحيل على البنية الشكلية للرؤيا ؛ فقد يكون من الضروري أن نحاول تَبَيّن موقع "نص الرؤيا"/ "نص تعبير الرؤيا" في الثقافة الإسلامية في ضوء تعبيره عن حالة تواصلية تنقل فيها رسالة تُنشَد من ورائها قصدية ما: إلى أي مدي يتعالق نص الرؤيا مع نصوص أخرى في نطاق هذه الثقافة؟ بل وإلى أي مدى يشاركها في الوظيفة والغاية ؟

حين توقفنا سابقا عند مفهوم الرؤيا، كنا نوهنا في نطاق الرؤيا الصالحة بمعنى المنتظمة والمستقيمة، دلالتها على معنى البشارة أو النذارة. إن هذا الفهم يحيل ضمنيا على أطراف الخطاب: مرسل (هو الله) ونص (هو الرؤيا) ومرسل إليه(هو الرائي) وقصد هو (البشارة أو النذارة).

ولأجل ذلك ينبه الدكتور سعيد يقطين إلى واقع أن " المرئي بمثابة "رسالة" رمزية تتراءى للرائي في المنام، والمؤول هو وحده القادر على فك شفرة هذه الرسالة، والكاشف عن محتواها التبشيري أو الإنذاري الذي يتوخي تغير

---

[1] إبراهيم:24 .

[2] تفسير الأحلام، ابن سيرين، ص: 14 .

[3] نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1428 هـ. 2007 م ،ط1 ص:30 .

سلوك الرائي أو المؤول له... بهذا المعنى، لا يختلف المرئي كنص عن بعض النصوص في الثقافة العربية القديمة إلا من حيث "الطبيعة"، إذ أنه يلتقي معها من جهة **القصد** . وكل النصوص ذات المعين الإلهي تحمل رسالة تقوم على مجموعة من الأزواج:

- وعظ وإرشاد: الخطبة، الحكايات الدينية...
- تنبيه وتذكير: قصص الأنبياء وأخبار الصالحين...
- تبصرة وهداية: القرآن. الحديث..." [1]

وحين نقبل بفكرة قيام النصوص ذات المعين الإلهي على حمل رسالة تقوم على أزواج، فباعتبار تلك الأزواج معبرة عن مقاصد شمولية كلية تنضوي تحتها مقاصد فرعية، يتحقق معها تميز كل نص باعتباره نصا خاصا أو جنسا خاصا.

وهذا البعد في الرؤيا يرشحها لمعنى المشاركة لتلك النصوص سواء من حيث المصدر أم من حيث القصد وهو ما يمكن أن يُجَلّى من خلال النموذج والخطاطة التالية [2]:

المرسل	النص	المرسل إليه	المتلقي
الله	القرآن الحديث	الرسول	المفسر
	المرئي	الإنسان	المؤول

[1] السرد العربي... مرجع سابق، ص: 238 .

[2] المرجع السابق، ص: 239 . ويتوجب مع ذلك الإشارة إلى ضرورة فهم مدلول الثقافة العربية الإسلامية في أبعادها التاريخية ومكوناتها العضوية، فليس هناك صوت تأويلي واحد داخل هذه الثقافة بل أصوات، وهو ما ينعكس على خطاب التأويل وآليات إنتاج الدلالة في كل مرة.

ومع هذا القدر ، فإنه ينبغي التنويه هنا بجوانب أخرى على قدر من الأهمية:

. فالراوي بوصفه "ساردا" يجب أن يحقق مبدأ الصدق، فإضافة إلى النكير الشديد على من تحلم بما لم ير، إذ يكلف أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد كما نص على ذلك الحديث الشريف؛ فإن هذا المبدأ له أهميته البالغة في تحقيق قدر من "المقروئية" لنص الرؤيا:" إنّ مبدأ "القبول" **(قبول التأويل وقبول التحقق)** يختزل كافة الشروط المتعلقة بـ"الرائي . الراوي"،لأنه هو "الضامن" لتوفر "نصية" الرؤيا، والمحقق لانسجامها لدى المتلقي والمؤول معا،وهو في حالة مقارنته بـ"النص المكتوب" بمثابة اندراج النص ضمن شروط تذهب من وضوح الخط،وسلامة التركيب، والخضوع لقواعد كتابية معينة إلى حمل المعنى..." [1].ونحسب أن مثل هذا الطرح يلتقي أو يكاد مع ما يُتَطلب في "نظرية النص من ضرورة استجابة النص لجملة من المعايير في ثقافة ما حتى يكتسب صفة الأدبية، ،فالأدب حسب يوري لوتمان "مجموعة من المعايير ،والقواعد، والمقالات النظرية، والمحاولات النقدية التي تعيد الأدب إلى ذاته، ولكن بشكل منظم" [2] وهو ما يعني "... أن أي منتوج أدبي لا يمكن وسمه بهذه الصفة إلا إذا استجاب لبعض المقاييس التي تفرضها الثقافة التي ينتمي إليها" [3].

والسياق بدوره مهم أيما أهمية في عملية التأويل، فإذا كان التأويل يتعدد بتعدد الرائين واختلاف أحوالهم، فإنه متعدد باختلاف السياق التاريخي والثقافي، وهو ما نبه إليه "ابن سيرين" "واعلم أنه لم يتغير من أصول تعبير الرؤيا شيء، ولكن تغيرت حالات الناس في همم وآدابهم وإيثارهم أمر دنياهم على أمر

---

[1] السرد العربي...ص:247 .

[2] نظرية النص، من بنية المعنى... مرجع سابق ،ص:18 .

[3] المرجع نفسه، ص:18، 19 .

آخرتهم، فلذلك صار الأصل الذي كان تأويله همة الرجل وبغيته،وكانت الهمة دينه خاصة دون دنياه، فتحولت تلك الهمة عن دينه وإيثاره إياه، فصارت في دنياه وفي متاعها وغضارتها..." [1].

ولعل هذه المرونة والانفتاح اللذين يتمتع بها الرمز داخل الرؤيا ، وإضافة إلى أنهما يجعلان للرمز طبيعة خاصة، فإنهما في الوقت نفسه يمثلان قدرا كبيرا من التحدي أمام المؤول: كيف يستطيع أن يوجه دلالة الرمز إلى تلك الدلالة بعينها؟

وسيترتب عن ذلك، أن السياق "يخرج عملية التأويل من المطابقة بين المادة ومعناها، وذلك بإدخال مختلف المتغيرات في الحسبان..." [2] وبمراعاة عنصر التحول يبدو أن العملية التأويلية تقوم على اعتبار :

"**ثوابت**: يتم التركيز عليها باعتبارها لازمة،لا غنى عنها، وهذه الثوابت مجتمعة تتصل... بمختلف مكونات نص الرؤيا. **متغيرات:** وهي ترتكز على تلك الثوابت،ولكنها تعطي للمتلقي. المؤول إمكانية الاجتهاد وفق الشروط اللازمة، وتمنحه حرية التأويل وفق ما تمليه مختلف الملابسات المتعلقة بالرؤيا والرائي والسياق" [3].

وينبغي رغم كل ما سبق أن ننبه هنا إلى أن البعد التواصلي للرؤيا باعتبارها **رسالة** متحقق حتى في دائرة مدرسة التحليل النفسي؛ على أنّ ما يبقى فارقا في مثل هذه الحالة، سيتجلى في نطاق أطراف الخطاب من جهة، وفي قصدية الحلم باعتباره رسالة رمزية من جهة أخرى، فوفق ثنائية: **الشعور واللاشعور** الفرديين حسب فرويد، لن نكون أمام مرسل ومرسل إليه من حيث هما

---

[1] تفسير الأحلام،ابن سيرين، تقديم:فؤاد بن سراج،عبد القادر، المكتبة التوفيقية ، القاهرة،2012 ،ط5 ص:21

[2] السرد العربي... مرجع سابق ،ص: 258 .

[3] المرجع نفسه، ص: 259 .

ذاتان مختلفتان، ولكن من منظور كونهما مستويين نفسيين لذات واحدة، وحين يعبر الحلم عن رغبة مكبوتة، فهو بذلك مضمون نفسي داخلي، قصديته هي **التحقيق والإشباع**.وحتى حين يتصل الحلم بالمستقبل أو يتكهن به فباعتبار أن ذلك التجلي المستقبلي تحقيق لرغبة كامنة. والحلم باعتبار مفهوم اللاشعور الجمعي عند يونغ يظل بدوره نصا ورسالة،غير أن رموزه ليست إشارات من جهة، كما أنها امتداد لنماذج بدئية موروثة عن الأسلاف منذ القدم.

6 - موقع نص الرؤيا من النصوص الأدبية في التراث العربي الإسلامي:

إذا كنا في المراحل السابقة من هذا المبحث قد حاولنا استجلاء الطبيعة النصية للرؤيا من خلال التركيز على عاملي **القصدية والقابلية للتأويل**، في دائرة تواصلية بين كل أطراف نص الرؤيا أو نص تعبير الرؤيا بتعبير الدكتور سعيد يقطين(الرائي /الرؤيا- المؤول التأويل)، مع الاحتفاظ بمسافة مقبولة بيننا وبين نص الرؤيا تؤمّن قدرا من التجرد وتحفظ في الوقت نفسه لذلك النص خصوصيته؛ وسعينا في الوقت نفسه وبصورة الإجمال أن نلفت إلى مظهر تعالق نص الرؤيا بنصوص الثقافة العربية الإسلامية مقصدا ووظيفة؛ فنحن نروم في هذا الجزء الأخير من هذا المبحث: التساؤل عما إذا كان هناك جنس أدبي بعينه **"يتمثله"*** نص الرؤيا ويتماهى فيه، بالقدر الذي يجعله **"مألوفا"** في نطاق الثقافة التي يستقبله أفرادها.

وسيترتب عن ذلك، أن ينظر إلى نص الرؤيا في قيامه على بنية ما يحاكي فيها بنية نص أدبي في نطاق هذه الثقافة. قد يكون مفيدا هنا أن نشير إلى تلك الملاحظة التي أبداها "فرويد" بشأن **عمل الحلم** متحققة في خصيصة **التكثيف**، فالحلم يضغط مادته ويركزها إلى أبعد حد ممكن، ولا يمارس السرد التقليدي للأحداث بتلك الصورة التي يتحقق معها المنحى التطوري والأسلوب

* لا نوظف هذه العبارة هنا إلا بشكل مجازي ،الغاية منه تحقيق قدر من الانسجام والتناغم مع الساحة الأدبية والنقدية.

التقريري المباشر في عرض التفاصيل والجزئيات. لذلك يجد فرويد " التكثيف...عنصرا مهما ومميزا للعمل الحلمي، مثله مثل تحويل الفكرة إلى موقف" **الإخراج الدرامي**"..." [1] .

لن نثير هنا الخلفية التاريخية والدينية للرؤى وتأويلها في الثقافة العربية الإسلامية، بوصف تينيك الخلفيتين مما يمنح الرؤيا مشروعية الحضور والاستمرار، فالقرآن الكريم أثبت للرؤيا شرعيتها وفصل بينها وبين الأضغاث، والأبعد من ذلك أنه نوّه بالتأويل علمًا:(وكذلك يجتبيك ربك **ويعلمك** من تأويل الأحاديث) [2].

إن ما نطمح إليه يتقاطع مع فكرة الإخراج الدرامي التي شبه بها فرويد عمل الحلم، ولكن في نطاق النص اللغوي وليس في ميدان تقنيات الإخراج السينمائي.

لقد بدا لنا أن مادة **"مثل"** سواء من الوجهة اللغوية أم من الوجهة الاصطلاحية هي من أقرب المواد إلى نص الرؤيا في التراث العربي الإسلامي.

"فالتمثال في العربية: وكذلك amsàl - messàlé- mesl في الحبشية كلها بمعنى (الشيء المصور)" [3] . وتطلق لفظة مثل "على **أحلام النائم، وتهيؤات الكاهن وتنبؤات النبي**... و كان الكاهن والعراف في أشد الحاجة إلى الصورة المجازية يجد فيها مجالا للمواربة والإيماء والرمز والألغاز. ونجد بعض الأمثال الملغزة منسوبة إلى أقوال كهان العرب أمثال عزى سلمة الكاهن والشعثاء الكاهنة وهي تصف سبعة إخوة... وأطلق الساميون(ومنهم العرب) لفظ مثل على صورة مجازية أخرى ليست عبارة موجزة ولكنها حكاية أو وصف قصد به توضيح

---

[1] الحلم وتأويله، فرويد، مرجع سابق، ص:31 .

[2] يوسف:6 .

[3] الأمثال في النثر العربي القديم ومقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى، عبد المجيد عابدين،مكتبةمصر،دار مصر للطباعة، دت، ط1 ،ص:4

فكرة أو البرهنة عليها بطريق المقاربة والقياس والتمثيل. ويمكن أن نسمي هذا المثل"المثل القياسي" ويسميه الفرنجة parable..."[1].

إلى هنا نعلق من لفظة مثل بمعاني الصورة أو الشيء المصور أي:الشخوص، والمجاز والإلغاز والرمز، والقصد إلى التعليم عن طريق القياس والتمثيل. وهي ملامح تتحقق في الرؤيا التي تحتاج إلى تأويل. ويضاف إلى ما سبق أن المثَل ترد في العربية بمعنى الشبيه والنظير[2]. والرؤيا تقوم على هذه العلاقة (التشبيه) في كثير من تجلياتها.

وقد تنبه بعض العلماء المسلمين لعلاقة الرؤيا بالمثل مبكرا. قال ابن العربي:"والأول أولى (أي اعتبارها(الرؤيا) إدراكات)،والذي يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من قبيل المثل، فالإدراك إنما يتعلق به لا بأصل الذات."[3]. فحسب ابن العربي رؤية غير المألوف في المنام لا تخرج الرؤيا عن حد الإدراك، لأن تلك المخالفة من قبيل المثل المضروب القابل للتأويل، والمعتمد في النسبة إلى الإدراك إنما هو المثل المضروب وليس المرئي بذاته.وما يبقى بعد ذلك، إنما هو البحث في مدى التجانس بين الرؤيا نصا والمثل فنا وجنسا أدبيا ؟

فالأمثال" حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها فتبلّغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق كناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خصال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى،وحسن التشبيه"[4]. ونقل الميداني في مجمع الأمثال:" المثل مأخوذ من المثال، وهو قول

[1] ينظر: المرجع السابق،ص:9 ،10،11 . تترجم أيضا:parable بكلمة: أمثولة.

[2] لسان العرب، مصدر سابق،ج13 ،ص:21 .مادة (مثل).

[3] المصدر نفسه، ص:352 .

[4] المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، تحقيق وتعليق: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، المجلد 1 ، ص:486.

سائر يشبه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه" ويقول ابن السكيت معرفا المثل:" المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى اللفظ، شبهوه بالمثل الذي يعمل عليه غيره" [1].

وجملة الأمر أن المثل من الناحية البنائية قائم على: مورد وهو القصة أو الحادثة الأولى التي أنتجته، ومضرب، وهو الحالة الجديدة المشابهة لقصة المثل.

ولكن في الحالة النموذجية تتجلى بنية المثل **النموذجي** قائمة على ثلاثة عناصر: عبارة المثل - مورده – مضربه، **فعبارةالمثل** ليست **المورد** ككل، ولكنها جزء منه يلخصه بتركيز شديد ويحيل عليه.

أما الرؤيا **النموذجية** فهي تحقق **نسبيا** الجوانب السابقة من المثل بمراعاة أن لها بدورها **ظاهرا وباطنا**: فظاهرها هو رمزها الذي يستقبله الرائي و يعادل **عبارة المثل**، وباطنها **هو دلالتها في التأويل** وهو ما يعادل **المضرب** ،أما **المورد** وهو القصة التي أنتجت المثل ومنه اشتقت دلالته، فيعادله في الرؤيا **المرجع** الذي قد يكون الآيةَ من القرآن أو الحديثَ أو الشعرَ أو التعليل المنطقي للدلالة ، ووظيفته إضفاء المصداقية على التأويل .ولذلك فعبارة المثل وما تضرب له يكافئان رمز الرؤيا ودلالته في التأويل، وتماما كما أن بعض الأمثال لم تعرف **قصصها** فاجتُهد في تخريج مضاربها أو اتسعت لتعبر عن أكثر من معنى، فإن الرؤيا قد يجتهد في تخريج دلالتها حين يعوزها **المرجع**.

على أن ما يبقى فارقا بين الرؤيا والمثل من حيث هذه المقومات البنائية، سيتجلي في نطاق **المورد** و**المرجع**، فالمورد بالنسبة للمثل سياق تاريخي، وقصة "حقيقية" أو متخيلة أنتجته وكانت وراء ظهوره، ولولاها لما كان، وعلى خلاف ذلك المرجع بالنسبة للرؤيا، فهو ليس سياقها بالأصالة، وإنما هي تحمل عليه في الدلالة من قبيل **القياس** فقط.

[1] الأمثال العربية القديمة،رودلفزلهايم، مؤسسة الرسالة،بيروت،1402 هـ . 1982 م ،ط2، ص:24.

وتمثيلا لما سبق،فقد نستشهد بقولهم "حتى يرجعَ نَشيطٌ من مروْ" [1]،وهو مثل يضرب لليأس من الشيء،"ونشيط مولى لعبيد الله بن زياد بنى له دارا فلم يرضها،وأمر بهدمها، فهرب نشيط إلى مرو و أمر عبيد الله ببناء دار أخرى،فلما فرغ منها أمَر فصُوّر في دهليزه كلب وأسد وكبش،وقال: أسد كالح، وكلبنابح، وكبشناطح، وصُوّر على بابها رؤوس أُسُود مقطّعة،فمرّ بها أعرابي فقال:إن صاحبها لا يتم له سكناها ليلة، فأُخذ وحمُل إلى عبيد الله فقال:احبسوه حتى ننزلها ونقتله فيها،ونقل إليها متاعه، فهرّ كلب فضحك الأعرابي،وقال: والله لا يسكنها أبدا، فما أمسى الناس حتى قدم رسول ابن الزبير إلى قيس بن السكن ووجوه أهل البصرة ودعاهم إلى طاعته فأجابوه، وهرب عبيد الله ثم دعا الأعرابي وقال له: من أين قلت ما قلت؟ قال: رأيت رؤوس أسد قد قطّعت فقلت:قوى ملك قد ذهب،وسلطان قد انقطع،ورأيت الكلب يهر على من يدخلها، فأطلقه..." [2].

فعبارة المثل هي"حتى يرجع نشيط من مرو" ومضربه لليأس من الشيء، ومورده هو القصة السابقة. وهذه البنية الثلاثية شاخصة أيضا في الرؤى النموذجية وتأويلها وهو ما يحقق"نص تعبير الرؤيا".ومثال ذلك ما جاء في تأويل رؤية الشمس والقمر مجتمعين "... فإن رأى شمسا وقمرا عن يمينه وشماله أو قدامه أو خلفه،فإنه يصيبه هم وخوف أو بلية وهزيمة،يضطر معها إلى الفرار لقوله تعالى:(وجُمِع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذٍ أين المفر) [القيامة:9،10]..." [3].

فرمز الرؤيا المكافئ لعبارة المثل هو"الشمس والقمر مجتمعين عن يمين أو شمال..." وهو ما يكافئ عبارة المثل،وتأويلها بالهم والخوف أو البلية والهزيمة هو

---

[1] جمهرة الأمثال،أبو هلال العسكري،تح:محمد أبو الفضل إبراهيم،عبد المجيد قطامش،دار الجيل بيروت لبنان،دت،ج1 ،ص:361 .

[2] المصدر السابق،ج 1، ص: 361 ،362 .

[3] تفسير الأحلام،مصدرسابق،ص: 253 .

دلالة ذلك وهو ما يعادل مضرب المثل،والاحتجاج لتلك الدلالة بالآيتين من سورة القيامة هو مرجع الدلالة وهو ما يكافئ المورد.

وقد يقال رغم ذلك إن الأمثال تحافظ على مضاربها، وعلى خلاف ذلك الرؤيا، فإن الرمز الواحد قد تتأول فيه معان مختلفة منشؤها اختلاف الرائين وأحوالهم وبلدانهم ولغاتهم... ومع هذا فالمثل يمكن أن يكون بدوره سياقيا بحيث يحافظ على عبارته كما هي في حين أن الغرض المراد مختلف عن المضرب التقليدي له، إن الدلالة هنا يصنعها **سياق الحال:**

فلو تمثلنا بقول الشاعر:

بغاث الأرض أكثرها فراخا وأم النسر مقلاةٌ نزور

فهذا البيت يضرب للفخر بالصنائع العظام تكون قليلة قياسا بالتافه أو الرديء من الأعمال، فلو تمثلنا بهذا البيت لكاتب مقل مجيد كان المقام مقام مدح وتسويغ لقلة أعماله، باعتبار أنه يستنفد جهدا ويحتاج وقتا غير قليل ليخرُج على الناس بالعمل الفذ من روائعه؛ غير أننا لو تمثلنا به لإقلال كاتب فاشل غير موهوب دلّ ذلك عندئذ على معنى السخرية والتعريض به. ولذلك فكما تتغير دلالة الرؤيا بحسب الرائي، تتغير دلالة المثل أحيانا بحسب الطرف المقصود به.

ولا يمتنع بالرغم مما سبق أن تكون الرؤيا نظيرة **للمثل القياسي** كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية بهدف النصح والإرشاد؛ متسقة بذلك مع تعريف العلماء المسلمين لها بأنها "مثل مضروب".فالمثلا لقياسي"قصة بأكملها أو صورة مجازية مبسوطة جاء بها الحكيم للإيضاح أو للتأديب والتحذير" [1]. ومن صوره في القرآن الكريم قوله تعالى: (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) [2] فكان حال اليهود الذين حملوا التوراة و

[1] الأمثال في النثر العربي القديم....مرجع سابق،ص:148 .

[2] المنافقون:5 .

قرؤوها وحفظوا ما فيها ولم يعملوا بها كحال الحمار يحمل أسفارا وهو جاهل بمضمونها،وتمثيل النبي لحاله مع الناس يدعوهم إلى الهدى ويغالبهم فيغلبونه فيقعون في النار بقوله:"إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعلت الفراشات وهذه الجنادب التي تقع في النار يقعن فيها،وهويزعهن فيغلبنه وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تغلبونني" [1] .فهل تختلف هذه الصور التمثيلية عن الرؤيا تجليا؟ وهل تختلف الرؤيا باعتبار القياس والتمثيل حتى عن ذلك القصص الرمزي كما الشأن في فن الخرافة؟

[1] رواه البخاري ج 14 ص99 ومسلم ج15 ،ص49 .